أدب الغربة

هدايا رأس السنة

للروائي الفرنسي الكبير

جي دي موپاسان

ترجمة

أديب الحر

عندما اتى جاك ده راندال من تناول عشائه في منزله آذن خادمه بالانصراف ثم ذهب تواً الى مكتبه وجلس يحرر عدداً من الرسائل .

هكذا كان يودع اعوامه ، وحيدا يكتب ويحلم ، ويستجمع في قرارة نفسه الحوادث التي اتفقت له منذ رأس السنة الأخيرة ، تلك الحوادث التي تلاشت — او كادت — على مرور الايام وحل بها الفناء . وكان كلما عرضت في مخيلته التي تلقى علي — اوقد الكهين شمعا — لكني يا صاحبي لا الاقي منهم الا عكس ذلك حيث لا شكر ولا تلطيف ولا حتى اشارة برضا فما العمل ؟ ؟

وجربت وجربت كثيراً وكثيراً في شتى المناسبات ودخلت معمعة اليأس مراراً وتكراراً غير انني في كل مرة لا احصل إلا على نتيجة تؤكد لي اخذها السابقة كل التأكيد .

والآن صدق بأنني انسان (بلا حظ) وتجدني لا استغرب من نفسي ذلك ابدا ولعل من يسمع يستغرب مني هذا الاعلان عن نفسي لاسيما وان المرء اذا اريد شتمه اوسبه او الحط من كرامته وقيمته قيل عنه (ان فلانا بلا حظ) . غير انني كما قلت لا استغرب هذا لأنني اعتقدت هذه الناحية كنقص خلقي اعده انا في نفسي وارجو ان لا يستغرب السامع الكريم مني ايضا مثلما انه لا يستغرب عندما يرى (الأعور) او (الاعرج) او (الاقرع) او أي انسان آخر مصاب بنقص في ناحية من نواحيه .

ولا ادري كيف سيكون حالي اذا ما اصبحت محظوظاً ؟

وهل سيأتي اليوم الذي سأكون فيه كذلك ؟

ان علم ذلك عند الله الذي هو على كل شيء قدير .

حدثني « جميل » بهذا الحديث في وقت جعلني انكر في امره كثيراً جدا متأملا لحاله وافترقنا بعد قليل ولم أره إلا ساعة إن قيل لي عنه بأنه مريض حيث ذهبت لبيته عائدا ، واذا به طريح الفراش اسير مرض عضال يردد كلمات فهمت منها — الآن سأكون محظوظاً — وبعد ذلك بأيام استحق عبارة رحمة الله عليه واسكنه فسيح الجنان انه ارحم الراحمين ؟

الهندية

جمال مهدي الهنداوي

صورة لصديق له خط بقلمه بضعة اسطر لهذا الصديق تحية رأس السنة الجديدة .

وبينا هو كذلك اذا به يفتح احد ادراج المكتب ويتناول منه رسم امرأة ينظر اليه مليا ثم يدنيه من شفتيه ويطبع عليه قبلة حرى اودعها كل ما في نفسه من غرام وشوق ولكنه ما لبث ان القاه على مهل قريباً من اوراقه وعمد الى قلمه وشرع يكتب :

[عزيزتي ايرين ...

لا شك بأنك تناولت منذ حين هديتي الصغيرة اليك .. وقد مكثت هذا المساء في منزلي لأقول لك] جمد القلم بين انامله فنهض من وراء مكتبه واخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا .

كانت خليلته منذ عشرة شهور ولكنها لم تكن كباقي النساء ، خليلة مغامرة ترود الاندية والمسارح ، بل كانت امرأة شغف بها وذاق حلاوة حبها مراراً ، تشعر يومذاك بفقد الشباب رغم عنفوانه ، وادرك تواً كيف كان ينظر الى الحياة تلك النظرة الجادة الوقور ويبني علاقات حياته على نحو وضعي صرف .

واخذ يعد كشفاً لعلاقاته الودية شأنه كل عام فيقارن بين قديمها وحديثها ويستعرض في مخيلته صور جميع الذين اشرفوا على سير حياته ، وخطر له ان يسائل نفسه — بعد ان خمدت في قلبه

جذوة حبه الاولى — عما كشعر نحو ايرين اليوم ، ثم حاول ان يعرف بنفسه ماسيؤول اليه هذا الشعور في المستقبل واذا به يشعر بنار الحب تتقد في قلبه وقد انصهر فيها الحنان وعرفان الجميل ومشاعر اخرى لاعديد لها تساعد بنفسها على بناء العلاقات الوطيدة الدائمة .

انتبه من احلامه على قرع الجرس ، فتردد برهة في استقبال زائره ولكنه لم ير مناصاً من فتح بابه في مثل هذه الليلة لاى مجهول يطرقه . فتناول شمعة مضاءة اجتاز بها الرواق الذي يؤدي الى باب منزله الخارجي ، فرفع الاوصاد وفتح الباب على مصراعيه فاذا به امام خليلته وجهاً لوجه وقد اتكأت على الجدار وغار ماء الحياة في وجهها حتى بدأت كانها من الاموات .

فقال متمتماً :

— ماذا دهاك ؟!

— هل أنت وحيد هنا ؟

— نعم

— بلا خدم ؟ !

— نعم

— هل كنت مزمعاً على الخروج ؟

— كلا

ودخلت المنزل دخول امرأة تعرفه وما ان وجدت نفسها في غرفة الاستقبال حتى ارتمت على حشية في صدرها وغطت وجهها بيديها واخذت تنشج وتبكي . . وكان جاك قد جثم على ركبتيه امامها جاعداً نفسه ليفسح ذراعيها وينظر الى عينيها متوسلا ؟

— ايرين ، ايرين ما بك ؟ اتضرع اليك لأن تخبرني بما دهاك ؟

فسمعها تهمس بعد جهد وسط زفراتها

— لم يعد باستطاعتي أن اعيش هكذا

فلم يدر بما تعني وقال :

— ان تعيشين هكذا ؟ وكيف ؟

— لم يعد بوسعي ان اعيش بمنزلي على هذه الحال .. أنت لا تعرف ولم اخبرك بشيء قبل اليوم ، فحياتي اضحت لا تطاق ؛ ولم يعد بامكاني ان احتمل اكثر مما احتملت ، انني اذوق انواع العذاب ، ولم يردع نفسه عن ضربي منذ لحظة .

— من ؟ . . زوجك ؟

— نعم . . زوجي .

— ! . . .

فتملكته الدهشة ، اذ لم يكن يعرف بهذا الزواج غلاظة كما تزعم ، ولم يفكر يوما بانه يمكن له ان يكون فظاً غليظاً ، فقد كان رجلا على جانب من العلم والاخلاق ، ذا معشر وحديث وهو على الرغم من كل ذلك فارس مرموق يثني عليه جميع عارفيه ومحبيه ويبادلهم الاحترام والاعجاب ؛ وكان يحب زوجه ويحيطها باهتمام زائد ، فيحافظ على صحتها ويحقق لها جميع رغباتها ولم يفكر مرة بأن يقيف حجر عثرة في سبيلها .

ومن حق (ده راندال) ان يحظى من زوج صديقته بتلك المودة الصافية التي يشعر بها كل انسان متعقل نحو اصدقاء امرأته الخلص ، ولكن علاقاته الودية مع زوج ايرين لم تعد — بعد ان اضحى هو عشيقها — كما كانت عليه مؤخراً من الصفاء والرسوخ ، فالزوج لم يكن ليعلم أن إعصاراً يعصف في منزله ؛ فذعر جاك وابث خائفاً تجاه هذا الحدث المفاجيء او بالاحرى حيال هذه التصورات الخيالية ثم التفت الى ايرين يسألها :

— وكيف حصل ذلك ؟

فروت له قصة حياتها الطويلة منذ زواجها : نشأ الخلاف الاول من تفه الاشياء وبعدها كان الانشقاق بين طبعين مختلفين وقد نتج عن ذلك نزاع دائم انتهى بالانفصال الفعلي المستمر . ومن ثم اخذ زوجها يناصبها العداء ويظهر لها الجفاء فيبدو امامها بمظهر غليظ فظ لم تعهده فيه من ذي قبل ، اما اليوم فانه يغار عليها ويتحرق غيرة من صديقها جاك ، هذه الغيرة هي التي حملته على ضربها بعد جدال طويل كان بينهما في ذلك المساء .

واردفت بثبات : لن اعود اليه ابداً . ولك ان تفعل بي ما تشاء .

كان جاك قبالتها فامسك بيديها بعد ان انتهت من حديثها وقال :

أتدرين يا عزيزتي بالخطر الذي سيداهمك اذا اصررت على رأيك؟ فاذا كانت رغبتك في ان تتركي زوجك فاجعلي الخطأ منه لتبقى على سمعتك كامرأة بعيدة عن لغط الناس وألسنتهم .

فنظرت اليه بقلق وسألته :

ـ اذن بم ترغب إلي ؟

ـ بأن ترجعي الى بيتك ، وتتحملي فيه هذه الحياة التي تحيينها الى ان تستحصلي على ورقة الاذن بالطلاق ، فتبقي بذلك على سمعتك وكرامتك . .

ـ ألا يتم قولك عن الجبن ؟

ـ كلا . . . بل الحكمة والتبصر ، عليك أن تصوني مركزك الرفيع وتحافظي على اسمك ، وتبقي علاقاتك بالاصدقاء وتحرصي على سمعة اقربائك ، ويجب ان لا تنسي كل ذلك ، او تهدريه ارضاء لنزوة عابرة عصفت بك .

واذا بها تنهض وتجيبه بشدة وعنف : (لا .. لا .. لم يعد باستطاعتي ، لقد قضي الامر ، وانتهى كل شيء) .

ثم القت بيديها على كتفي عشيقها ونفذت ببصرها الى اعماق عينيه واردفت بثبات : اتحبني ؟

ـ نعم .

ـ حباً حقيقياً ؟

ـ نعم . ـ اذن اجعلني في حمايتك . .

فلم يتمالك نفسه وبدا الانفعال جلياً في نبراته :

ـ اجعلك في حمايتي؟ عندي .. هنا ؟ هل طار صوابك ؟ ألا تدرين بأن هذا العمل يحتم علي خسارتك الى الأبد ، أجل ، لقد فقدت رشدك .

ولكنها تابعت كلامها بكل هدوء كأنها تزن كل حرف من حروفها :

ـ اصغ الي يا جاك ، انه منعني من رؤيتك بعد اليوم ، وانا لا اسمح لنفسي بمقابلتك بعيدة عن أعين الرقباء ، انها مهزلة لن اعمل بها . وانت الآن بين امرين ، اما ان تحتفظ بي او ان تخسرني الى الابد .

ـ اذا كنت يا عزيزتي واثقة بقولك ، فاحصلي على اذن بالطلاق وانا اجعلك زوجتي .

ـ نعم تجعلني زوجتك بعد .. عامين على الاقل . . لم اعرف عواطفك من ذي قبل تتميز بمثل هذا الصبر والجلد .

ـ الامر يتطلب تفكيراً ، فاذا بقيت عندي جاء وانتزعك مني ، فالحق والقانون يحميانه لانه زوجك .

ـ انني لا ارغب اليك ان تمكثي عندك يا جاك ، بل اريدك ان تأخذني معك الى حيث تشاء . . كنت اعتقد بمزيد حبك لي بحيث تجز جميع رغباتي بسرعة فائقة ، ولكنني أخطأت الاعتقاد فوداعا .

واتجهت نحو الباب هاربة تحت الخطى فلم يمكنه الوصول اليها الا بعد خروجها من غرفة الاستقبال .

ـ انتبهي يا ايرين .

فتململت بين يديه مرتعشة ، واصمت اذنيها عن توسلاته وغمغمت والدموع تجول في عينيها :

(دعني .. دعني .. دعني) .

فاكرهها على الجلوس وجثم على ركبتيه امامها واخذ يردعها عن رأيها الذي ازمعت تنفيذه ويبين لها الخطر الذي يحدق بها معتمداً على الحجج والبراهين ، ولم يترك وسيلة من وسائل الاقناع الا استعان بها . فلبثت لا تنبس ببنت شفة ولبث هو يتذرع اليها بصبر واناة لتصغي اليه وتعمل برأيه ولما انتهى من كلامه اجابته :

ـ هل بامكانك ان تتركني وشأني ؟ دعني لاذهب

ـ واخيراً يا ايرين ؟

ـ اتريد ان تدعني وشأني

ـ ايرين ، ألا تتركي قرارك الغاشم وترجعي عنه

ـ اتريد ان تدعني وشأني ؟

ـ أود معرفة قرارك الغاشم .. هذا القرار الذي سيجر اليك الندامة عما اذا كان حاسما ام لا .

ـ نعم ، انه حاسم .. اتركني الآن وشأني .

ـ امكثي اذن مكانك ، ولا احتاج الى القول بانك في منزلك هنا وسنرحل صباح الغد .

ولكنها نهضت على الرغم منه وقالت باصرار :

ـ كلا لقد قضي الامر وانا لا اريد تضحيتك واخلاصك

— الى حيث انت . لقد قمت بواجبي وتكلمت ما يجب علي ان اتكلم به ؛ اما الآن فلم اعد مسؤولا تجاهك ولن يحاسبني ضميري على خطيئة اقترفتها ؛ فاحكمي علي برغبتك ولن ترى مني غير الطاعة .

فاقت نفسا على كرسي امامها ونظرت اليه طويلا ثم اجابته بصوت يشبع فيه الهدوء .

— افصح لي الآن

— ماذا ترومين ان افصح لك

— كل شيء كل ماحملك على الاستسلام المفاجيء ؛ وسأرى ما انا فاعلة بعد ذلك .

— كان علي تنبيهك عن طيشك الذي يقودك الى خطر داهم ولكنك اصررت وازمعت لأن اشاركك هذا الطيش الذي ترتعين به الآن وانا ازمع بدوري واصر على ذلك .

— ليس طبيعياً تبديل رأي الانسان في مثل هذه السرعة الفائقة .

— اصغ يا ايرين ، لايوجد في الامر تفان وتضحية فقد حدثت نفسي بعد ان أيقنت بحبي لك ما يحدثه كل عاشق لحبيبته في مثل هذه اللحظة .

فالرجل الذي يحب امرأة ويتعب نفسه ليحظى بها ويتم له ما يريد يكون قد اخذ على نفسه عهدا مقدساً نحوها ونحو نفسه ، والحديث الآن عن امرأة مثلك ، وليس عن امرأة سهلة القياد لينة القلب . فالزواج سنة تمتاز بقيمة اجتماعية وشرعية عظيمة ، وتتحلى في رأيي بقيمة اخلاقية ضئيلة بالاضافة الى الشروط التي تنتهي بها غالباً .

فالمرأة التي يربطها هذا الوثاق القانوني مع زوج لا ترغب فيه ولا تميل اليه ، وليس باستطاعتها ان تهبه قلبها وتحبه ، فعند التقائها برجل حر يحل في نفسها محل الروح من الجسد فتهديه قلبها ويمطيها حبه وهكذا يرتبطان معا برباط اوثق وأشد من ذلك الذي يتم بعد ان يلفظ الزوجان كلمة (نعم) امام الكاهن او كاتب العدل .

فاذا كان هذان الحبيبان من الذين يؤمنون بالقيم الاخلاقية والروحية ، فان امتزاجهما يكون زاداً شديد الطهر والقدسية من أي امتزاج آخر تباركه النظم الدينية وتقبل به التقاليد وعما لا شك فيه ان امرأة كهذه تدرك باقدامها على الخيانة بأنها تقتحم الاخطار وتتحدى المجتمع الذي سيتألب عليها ويثور على سمعتها وكرامتها ، لذلك ولأن بين جوانحها استعداد التضحية بكل شيء ، بقلبها وجسدها وشرفها وروحها وحياتها ولأنها تتجه نحو عمل جريء وتعد نفسها لمجابهة زوجها الذي باستطاعته ان يقتلها ، وقد ينبذها العالم . انها بكل ذلك جديرة بالاحترام في حياتها الزوجية فيحتضنها حبيبها ويفضلها على جميع النساء .

ليس عندي ما اقوله فوق هذا ، وقد قلت في البدء كرجل متعقل يرى واجبه ان ينبهك ويضيء الطريق امامك ، اما الآن فمحدثك هو الرجل الذي يحبك من صميم قلبه .

فاغرقها لذة عظيمة وهمست بعد اطبقت شفتيها على فمه .

ليس صحيحاً كل ما اخبرتك به يا عزيزي وزوجي لم يظن يوما في شيء . ولكنني اردت معرفة ما سيحدث منك ، اردت ان احظى . بهدايا . . هدايا من قلبك . . فوق العقد الذي اهديتنيه هذا المساء . وقد وهبتني الهدايا هذه . فشكراً لك والف شكر ، يا لله ما اعظم نشوتي وسروري ؟

لبنان :

أديب الحر

أمثال عربية

الاناء الفارغ اكثر جلبة ورنينا .

الشياطين لا يكذب بعضها بعضا .

الحق والزيت يرتفعان دائماً .

صديقي من يطعن في مطعنتي .

قبل ان تغضب انظر هل من سبب للغضب

اذا وجدت الارادة وجدت مفتاحا لكل شيء